# وقت نزول القرآن وأثره في فهم المعنى والعمل به
## (دراسة تطبيقية على بعض ما نزل ليلاً)

د. طه عابدين طه (★)

**مقدمة :**

الحمد لله الذي خصنا بخير كتاب ، أنزله في خير زمان ، على خير رسول ، لخير أمة،والصلاة والسلام على من أنزل على قلبه الطاهر النور المبين ليكون للعالمين نذيرا، وآله الطاهرين،وصحبه الصادقين ، ومن سار على دربهم إلى يوم الدين .

**أولاً : أهمية الموضوع وأسباب اختياره :**

**(١) عناية الصحابة والعلماء بزمان ومكان وأحوال نزول القرآن الكريم :** لو لم يكن لزمان النزول ووقته ومكانه وأحواله أثر في فهم القرآن الكريم والعمل به لما اعتنى به أصحاب النبي ﷺ ونقلوه لنا ، فعن عبد اللَّهِ بن مسعود ﷺ قال:" وَاللَّهِ الَّذِي لا إِلَهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلا أَنَا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِلا أَنَا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ تُبَلِّغُهُ الإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ"[(١)] ، وكان علي بن أبي طالب ﷺ يقول على المنبر: "سلوني , فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم وسلوني عن كتاب الله فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بالنهار،أفي سهل أم في جبل"وكذلك تكلم عنه علماء علوم القرآن وأفردوا له مباحثاً ونقاطاً خاصة كما فعل الزركشي ( ت : ٧٩٤ ) في البرهان ، والسيوطي (ت: ٩١١) في الإتقان ؛ وذلك لما له من أثر في فهم المعنى والعمل به ، فلم يكتفوا في تحديد الزمان بذكر الليل أو النهار مثلاً بل نصوا في أي جزء منهما ، بل حتى حالة الليل أو النهار من شتاء قارص أو صيف حار .

**(٢) إن معرفة الزمان والمكان له أهمية خاصة للمفسر :** لمعرفة الزمان والمكان وأحوال النزول أثر خاص في فهم المعنى ، ولذا نص العلماء على وجوب

---

(★) أستاذ مشارك بجامعة أم القرى ، بمكة المكرمة .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه , كتاب فضائل القرآن , باب القراءة من أصحاب النبي ﷺ ح رقم ٤٦١٨ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي , ط: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض ١٤٠٠هـ .

تعلمه للمفسر، قال أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابوري (ت:٤٠٦ ) في كتابه التنبيه على فضل علوم القرآن :"من أشرف علوم القرآن علم نزوله وجهاته ، وترتيب ما نزل بمكة والمدنية، وما نزل بمكة وحكمه مدني ، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة ،وما نزل بالمدينة في أهل مكة ،وما يشبه نزول المكي في المدني ، وما يشبه نزول المدني في المكي، وما نزل بالجحفة ، وما نزل ببيت المقدس ، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحديبية، وما نزل ليلًا، وما نزل نهارًا، وما نزل مشيعًا، وما نزل مفردًا، والآيات المدنيات، وما حمل من مكة إلى المدينة ، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى الحبشة، وما نزل مجملًا، وما نزل مفسرًا ، وما اختلف فيه فقال بعضهم : مدني ، وقال بعضهم : مكي ، فهذه خمسة وعشرون وجهًا من لم يعرفها ، ويميز بينها ، لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى"[(١)].

**(٣) نوع من أنواع إعجاز القرآن الكريم :** عندما يجد المتأمل في كتاب الله أن هنالك تناسباً وتناسقاً دقيقاً بين ما أنزله الله من آيات وسور وبين زمان النزول بل وقت النزول ومكانه والأحوال التي نزل فيها ، وكيف تتكامل جميع تلك الجوانب في إعطاء صورة جمالية وعلمية وعملية رائعة في ظلال المعنى ودافعية العمل به علم يقيناً أن هذا القرآن من لدن حكيم خبير ، فهو نوع آخر من أوجه إعجاز هذا الكتاب المجيد التي لا تنتهي ، ولطيفة من لطائف أسراره التي لا تنقضي ، وإن هذا النوع من الإعجاز لم يعط حقه من النظر والتأمل إلى يومنا هذا ، فقد هدف الباحث من خلال هذا البحث فتح نافذة جديدة أمام المتعمقين في الدراسات القرآنية لم تكن خافية على سلفنا الصالح وهم يتلون كتاب الله ويتفاعلون معه علماً وعملا .

**(٤) لم يقف الباحث على دراسة عالجت هذا الموضوع :** لعدم وجود كتابات عالجت هذا الموضوع فقد تفردت هذه الدراسة بجانبين مهمين هما :

**أولهما:** الجمع والدراسة للروايات التي ذكرت ما نزل ليلاً[(٢)] من القرآن

---

(١) انظر:الزيادة والإحسان لابن عقيلة المكي (١/ ٣٢٦) ، وذكره السيوطي في الإتقان (١/ ٨٣) تحقيق مركز البحوث والدراسات بمكتبة نزار مصطفى الباز، ط : مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة ، ط١ ، ١٤١٧ هـ ـ ١٩٩٦م .

(٢) وقد تم اختيار آيات الليل للدراسة التطبيقية ؛ لأن أغلب القرآن نزل في تنجيمه بالنهار كما نص على ذلك العلماء ، قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري: " نزل أكثر القرآن نهارا " ، والروايات التي جاءت عن ما نزل ليلاً قليلة يسهل دراستها في مثل هذه البحوث المحددة المعنية بالجديد

الكريم ، وهي قد جاءت متفرقة في كتب الحديث،وذكر بعضها بعض علماء التفسير أثناء تفسيرهم لبعض الآيات والسور ، وقد اكتفت كتب علوم القرآن بذكر نماذج منها كما فعل الزركشي في البرهان فذكر ثلاثة أمثلة لما نزل ليلاً ، وأكثر من ذكرها أبو القاسم النيسابوري في كتابه التنبيه ، وحاول السيوطي استيعاب الكثير منها في كتابه الإتقان بدون التحقق من سندها ، وتناولها بعض المفسرين أثناء تفسيرهم ، ولم يخصص للموضوع دراسة تقوم بجمع كل الروايات التي تتحدث عن ما نزل ليلاً ودراستها سنداً ومتناً وهذا ما قام به الباحث أولاً مع التوفيق بين المتعارض منها .

**ثانيهما:** قامت هذه الدراسة ببيان أثر معرفة وقت نزول الآية على الفهم والعمل ، فقد تناول العلماء أحوال النزول وأثره في فهم المعنى من خلال كثير من الكتابات التي جاءت عن أسباب النزول ، كما تناول العلماء مكان النزول من خلال دراسة المكي والمدني وتعرضوا لزمان النزول من خلاله ، فذكروا أمثلة ونماذج محددة لما نزل ليلاً وما نزل نهاراً دون تخصيص ذلك بدراسة تجمعه على أنه نوع من أنواع علوم القرآن، وتربطه بالفهم والعمل ، بل بأوجه إعجازه على رغم ما للوقت المحدد من أثر في فهم المعنى والعمل به ، وقد حرصت أن أجمع في هذا البحث ما تناثر من تلك الروايات الصحيحة فيما نزل ليلاً من القرآن الكريم ثم أبين معرفة أثر وقت النزول في دلالة فهم المعنى والعمل به ، لأن لنزول الآيات منجمة وارتباطها ببعض الأماكن والأزمنة والأوقات والأحوال له من الحكم الإلهية البليغة ما تقصر دونها العقول ، كما لها من دلالات المعاني والعمل ما لا يدركها إلا من تعمق في فهم النص القرآني، وألمَّ وعايش أحوال نزول القرآن الكريم ، وفتح الله عليه من أنوار كتابه المجيد ، وهو دليل من دلائل الإعجاز التي تأخذ مجامع القلوب إلى اليقين بأن هذا الكتاب من لدن حكيم خبير ، حيث يجد التوافق حتى بين دلالات المعنى وزمان ومكان وأحوال النزول ، وقد ظهر لي ذلك من خلال النظر والتدبر الطويل في كتاب الله ، سعيت على جمعها في هذا البحث الفريد في موضوعه ونوعه، الذي لم يعط حقه حتى اليوم من العناية والنظر حسب علمي وإطلاعي .

---

حتى نستطيع أن نلقي الضوء على بعض معالم هذا الموضوع العظيم . انظر : الإتقان في علوم القرآن (١ / ١٣٧).

**(٥) معايشة أحوال النزول زماناً ومكاناً وحدثاً يقوي فاعلية الفهم والعمل** :
إن معايشة الآيات والسور ، وتصور الأحوال التي نزلت فيها من حرب أو سلم ، في سفر أو إقامة ، في ليل أو نهار، في جبل أو في سهل ، في صيف أو شتاء ونحوها واستصحاب ذلك في أثناء التلاوة والتدبر والعمل يقوي من عمق التدبر ، ويزيد من روح الفاعلية في تجدد آثار الوحي في النفوس وتزكيتها واستجابتها، والعكس بالعكس .

**ثانياً : أهداف البحث :** الهدف العام لهذا البحث بيان أثر وقت نزول بعض الآيات والسور على فهم المعنى والعمل به . ويتبع لبيانه الأهداف الفرعية التالية :

١. معرفة ما اتفق العلماء على ما نزل ليلاً من الآيات والسور .
٢. معرفة ما اختلف العلماء في نزوله ليلاً من الآيات والسور .
٣. بيان أثر معرفة وقت النزول في فهم بعض الآيات والسور والعمل بها .

**ثالثاً : حدود البحث :** جمع الروايات التي وردت فيما نزل ليلاً من القرآن الكريم ، ودراسة سندها ومتنها ، وبيان ما تضمنته من معنى عام ، ثم بيان أثر الوقت الذي نزلت فيه على فهم المعنى والعمل به .

**رابعاً : منهج البحث وأداته :** استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، وسلك فيه أسلوبي الاستقراء والاستنباط , وكانت أداته تحليل المحتوى للأدلة ذات الصلة بالموضوع ، التي تم جمعها من خلال ما كتبه العلماء في هذا الفن من الكتابات القديمة والحديثة بغية الوصول إلى أهداف البحث .

**خامساً : الدراسات السابقة :** لا توجد دراسة خصت هذا الموضوع بالجمع والدراسة ـ حسب علمي وإطلاعي ـ لكن ذكر الزركشي في البرهان بعض الروايات لما نزل ليلاً ، وكذلك جمع الكثير منها السيوطي في الإتقان من غير تحقيق لسند ، أو دراسة لمعنى ، ولا ربط لذلك بفهم دلالات الآية أو السورة والعمل بهما،وقد تعرض بعض المفسرين للمحات من هذا الموضوع في كتبهم كالقرطبي ( ت :٦٧١هـ ) ، وابن القيم ( ت:٧٥١هـ) ، وابن عاشور ( ت : ١٣٩٣هـ ) لكن مجرد إشارات خفيفة.

**سادساً : هيكل البحث :** قسمتُ هذا البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة ، جاءت على النحو التالي :

**المقدمة** : شملت : أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث ، وحدود البحث ، والدراسات السابقة .

المبحث الأول : ما نزل ليلاً من الآيات والسور .

المبحث الثاني : أثر وقت النزول في دلالة المعنى والعمل به .
الخاتمة : شملت أهم النتائج والتوصيات .

**سابعاً : تعريف مصطلحات الدراسة :**

**أولاً : تعريف الوقت وبيان الفرق بينه وبين الساعة والزمن :**

**أ/تعريف الوقت:** الوَقْتُ: مِقْدَارٌ من الزمَانِ ،وكُلُّ شَيْءٍ قَدَّرْتَ له حِيناً فهو مُوَقَّتٌ . والميقات: الوقتُ المضروب للفعل ، والموضعُ . يقال هذا ميقات أهل الشام ، للموضع الذي يُحْرِمونَ فيه. وتقول: وَقَّتَهُ فهو موقوت إذا بيَّنَ للفعل وقتاً يُفْعَلُ فيه . ومنه قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾(النساء: ١٠٣) ، أي مفروضاً في الأوقات . والتوقيت : تحديد الأوقات . تقول: وقَّتُهُ ليوم كذا مثل أجَّلْتُهُ[١].

**ب/ الفرق بين الوقت والساعة والزمن :**

**الفرق بين الساعة والوقت والزمن :** أن الساعة هي الوقت المنقطع من غيره. والوقت مقدار من الزمان مفروض لأمر ما مثل الصباح ، الليل ، الضحى[٢].

والزَّمَنُ والزَّمانُ اسم لقليل الوقت وكثيره وفي المحكم : الزَّمَنُ والزَّمانُ العَصْرُ، والجمع أزْمُن وأزْمان وأزْمِنة ، وأزْمَنَ الشيءُ طال عليه الزَّمان ، وأزْمَنَ بالمكان أقام به زَماناً ... الزَّمانُ زمانُ الرُّطَب والفاكهة وزمانُ الحرّ والبرد قال ابن الأعرابي ( ت : ٣٤٠ ) : ويكون الزمانُ شهرين إلى ستة أشهر ، والزمان يقع على

(١) جمهرة اللغة ، لابن دريد (١٩٥/١) ط / مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٤٥هـ، والصحاح في اللغة للجوهري (١/ ١٥٩) ط: دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م .والقاموس المحيط للفيروز أبادي (١٥١/١) ط : مكتبة دار الباز , مكة , ط١ / ١٤٢٠هـ . والفروق اللغوية للحسن العسكري (١/ ٥٢٥) ، تحقيق : أبي عمرو عماد زكي الباروي ، ط : المكتبة التوفيقية ، مصر ، بدون تاريخ. ، وتاج العروس للزبيدي (١ / ١١٩٦) تحقيق: الترزي، وحجازي، والطحاوي، والعزباوي، ط: مطبعة حكومة الكويت ، عام ١٣٩٦٥هـ .

(٢) الفروق اللغوية (٢٧٠/١).

الفَصْل من فصول السنة ،وعلى مُدّة ولاية الرجل وما أشبهه)[1] .

**ثانياً : تعريف نزول القرآن :**

**أ/النزول في اللغة :** من نزل ينزل نزولاً ونزلة وتنزيلاً ويراد به الانحدار والانحطاط من أعلى إلى أسفل , كما يقال : نزل عن دابته،وكقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾ (البقرة:٢٢) والمُنْزَل: بضم الميم وفتح الزاي الإنزال,والمَنْزَل موضع النزول , وتقول : نزل بهم الأمر إذا حلَّ بهم,والنُزُل: ما هُيئ للضيف لينزل عليه , والنَزيل: الضيف ، والنزال في الحرب : أن يتنازل الفريقان عن دوابهما للقتال , وقيل: أن يتقابلا " [2]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية ( ت : ٧٢٨هـ ) : " ليس في القرآن ولا في السنة لفظ النزول إلا وفيه معنى النزول المعروف وهذا هو اللائق بالقرآن,فإنه نزل بلغة العرب, ولا تعرف العرب نزولاً إلا بهذا المعنى"[3].

**ب/ نزول القرآن في الاصطلاح:** يراد به :" نزول جبريل عليه السلام بكلام الله عز وجل على النبي ﷺ وإسماعه إياه " كما سمعه من الله سبحانه وتعالى[4] .

**ثالثاً : تعريف القرآن الكريم :**

**أ/في اللغة :** اختلفت فيه أقوال العلماء بين أهو مصدر أم وصف, ومهموز أم غير مهموز, والذي نختاره أنه مصدر مهموز علي وزن فُعلان بالضم كالغفران، والشكران ، من قرأ يقرأ قراءةً , وقرآناً , ويشهد لهذا الاختيار ورود القرآن بمعنى القراءة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ (القيامة:١٧-١٨) أي قراءته . والقراءة بمعنى التلاوة[5].

ب/في الاصطلاح : القرآن الكريم أعظم من أن تحدده أو تحده تعاريف البشر الاصطلاحية ذات الفصول والأجناس والخواص بحيث تصير هذه المصطلحات

---

(١) تهذيب اللغة لأبي المنصور الهروي (٤ / ٣٧١) ، ولسان العرب لابن منظور (١٣ / ١٩٩) ، تحقيق : أبي عمرو عماد زكي الباروي ، ط : المكتبة التوفيقية ، مصر ، بدون تاريخ.

( ٢) لسان العرب ( ٦٥٩/١١ ـ٦٦٠ ) , والقاموس المحيط ( ٦٢٤/٣) ، ومختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (٢٧٣/١) .

( ٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥٧/١٢ ) جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط : مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، طبعة ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .

( ٤) المنتقى في علوم القرآن ، د . طه عابدين طه (٧٠/٢ ) دار الأندلس للنشر والتوزيع ، حائل ، السعودية ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ .

(٥) القاموس المحيط , مادة (القرآن) (٣٠/١ ) .

حداً حقيقياً له والحد الحقيقي له هو استحضاره في الذهن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس أو الإشارة إليه في الحس مكتوباً في المصاحف ولكن العلماء ذكروا له تعاريف المقصود منها تقريب معناه وتميزه عن غيره من أنواع الوحي من كتب الله الأخرى ، والأحاديث القدسية ، والأحاديث النبوية التي تشارك القرآن في كونها وحياً[1]، فكانت هذا التعاريف لتمييزه ، ومن أجمع هذه التعاريف قولهم بأنه:( كلام الله ، المنزل على محمد ﷺالمتعبد بتلاوته)[2].

## المبحث الأول

## ما نزل ليلاً من الآيات والسور

**المطلب الأول : الآيات والسور المتفق على نزولها ليلاً:**

**أولاً : أواخرُ آلِ عمران :** عن عائشة رضي الله عنها أنَّ بلالاً أتى النبيَّ ﷺ يُؤْذِنه لصلاةِ الصبح فوجده يبكي فقال: يا رسول الله ما يُبكيك ؟ قال: ( وما يمنعني أن أبكي وقد أُنْزل عليَّ هذه الليلة ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ( آل عمران: ١٩٠ ) إلى قوله : (سبحانك فقنا عذاب النار) . ثم قال: (وَيْلٌ لمن قَرَأَهَا ولَمْ يَتَفَكَرْ فِيْهَا)[3] .

وعن إبراهيم بن سويد النخعي حدثنا عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء قال : دخلت أنا وعبيد ابن عمير على عائشة رضي الله عنها فقال عبد الله بن عمير : حدثينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ ؟ فبكت وقالت : قام ليلة من الليالي فقال : ( يا عائشة ! ذريني أتعبد لربي ) ، قالت : قلت : والله إني لأحب قربك وأحب ما يسرك قالت: فقام فتطهر ثم قام يصلي فلم يزل يبكي حتى بل حجره ، ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، وجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله ! تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ ! قال

(١) انظر: النبأ العظيم ، الدكتور محمد عبد الله دراز: ( ص١٠) اعتنى به وخرج أحاديث عبد الحميد الدخاخني ، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م .

( ٢) المنتقى في علوم القرآن (٧٠/٢ ) .

(٣) أخرجه ابن حبَّان في صحيحه ح رقم ٦٢٠، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣ / ١٧٦) "لعبد بن حميد ، وابن أبي الدنيا في التفكر ، وابن المنذر ، وابن حبان في صحيحه ، وابن مردويه ، والأصبهاني في الترغيب ، وابن عساكر ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم . انظر: صحيح ابن حبان بأحكام الأرناؤوط (٢ / ١٣١)

: ( أفلا أكون عبدا شكورا ؟ لقد نزلت علي الليلة آيات ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيهـــا: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [(1)].فهذه الروايات الصحيحة تؤكد نزول هذه الآيات ليلاً على النبي ﷺ .

**ثانياً: آيات الثلاثة الذين خلفوا من سورة التوبة :** فقد جاء عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ ـ وَهُوَ أَحَدُ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ تِيبَ عَلَيْهِمْ ـ قال : " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الآخِرُ مِنَ اللَّيْلِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي ، مَعْنِيَّةً فِي أَمْرِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( يَا أُمَّ سَلَمَةَ تِيبَ عَلَى كَعْبٍ ، قَالَتْ : أَفَلا أُرْسِلُ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرَهُ ؟ قَالَ : ( إِذًا يَحْطِمَكُمْ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمْ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ ، حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الفَجْرِ آذَنَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَكَانَ إِذَا اسْتَبْشَرَ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ الْقَمَرِ )[(2)] . فهذه الروايات الصحيحة التي هي في البخاري ومسلم من رواية كعب ابن مالك تؤكد نزول هذه الآيات ليلاً بما لا يجعل مجالاً للاختلاف في ذلك ، بل نزلت ليلاً في الثلث الأخير كما قال كعب بن مالك : " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الآخِرُ مِنْ اللَّيْلِ " .

**ثالثاً : أول سورة الفتح :** عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسِيرُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَعُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ يَسِيرُ مَعَهُ لَيْلًا فَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ عَنْ شَيْءٍ فَلَمْ يُجِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَلَمْ يُجِبْهُ ، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا عُمَرُ نَزَرْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثَلاثَ مَرَّاتٍ كُلُّ ذَلِكَ لا يُجِيبُكَ ، قَالَ عُمَرُ : فَحَرَّكْتُ بَعِيرِي ثُمَّ تَقَدَّمْتُ أَمَامَ المُسْلِمِينَ وَخَشِيتُ أَنْ يَنْزِلَ فِيَّ قُرْآنٌ فَمَا نَشِبْتُ أَنْ سَمِعْتُ صَارِخًا يَصْرُخُ بِي , قَالَ : فَقُلْتُ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ نَزَلَ فِيَّ قُرْآنٌ وَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ : ( لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ثُمَّ قَرَأَ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا)[(3)]

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ح رقم ٦٢٠، والمنذري في الترغيب والترهيب ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ح رقم ١٤٦٨ ، وفي السلسلة الصحيحة ح رقم ٦٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التفسير ، باب : " وعلى الثلاثة الذين خلفوا " ح رقم ٤٦٧٧ ، ومسلم كتاب : التوبة ، باب : حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ح رقم ٢٧٦٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب: التفسير، باب : سورة الفتح (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ) ح رقم

.

فهذه الرواية الصحيحة تؤكد أنها نزلت ليلاً بعد صلح الحديبية بين مكة والمدينة ، كما جاء في الحديث: ( لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ سُورَةٌ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ثُمَّ قَرَأَ ( إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا) وليس في ذلك خلاف .

**رابعاً : صدر سورة العلق :** لا شك أن الآيات الأولى من القرآن نزلت ليلاً ، وقد ثبت أن ابتداء نزول القرآن كان في شهر رمضان ليلاً،قال تعالى:﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ البقرة:١٨٥)،وقال تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ (الدخان: ٣) ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ( القدر: ١ -٣) ، فبركة تلك الليلة ، وشرفها وسمو قدرها ؛ لأن الله تعالى جعلها مبدأ الوحي إلى رسوله الكريم ، قال ابن عاشور: " فيجوز أن يراد به القرآنُ كلُّه فيكون فعل : ( أنزلنا ) مستعملاً في ابتداء الإنزال لأن الذي أُنزل في تلك الليلة خمس الآيات الأول من سورة العلق ثم فتر الوحي ثم عاد إنزاله منجماً ولم يكمل إنزال القرآن إلا بعد نيف وعشرين سنة ، ولكن لما كان جميع القرآن مقرراً في علم الله تعالى مقدارُه وأنه ينزل على النبي ﷺ منجَّماً حتى يتم ، كان إنزاله بإنزال الآيات الأول منه لأن ما ألحق بالشيء يعد بمنزلة أوله "[1] . وهذا هو الذي يقتضيه حديث بَدْء الوحي كما جاء عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ : أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ , ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ ـ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا ، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ : اقْرَأْ ، قَالَ : ( مَا أَنَا بِقَارِئٍ ) ، قَالَ : فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ ، قُلْتُ : ( مَا أَنَا بِقَارِئٍ ) ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى

---

٤٨٣٣.

(١) التحرير والتنوير (٣٠ / ٤٥٦) اعتنى به وخرج أحاديث عبد الحميد الدخاخني ، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط١ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م .

بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ فَقُلْتُ : ( مَا أَنَا بِقَارِئٍ ) فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَ : زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي , فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ فَقَالَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ : لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي ... )[1] . فهو يدل على نزول الوحي عليه في وقت تعبده ليلاً .

وقد جاء عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : ( نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِسِتٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَ الإِنْجِيلُ لِثَلاَثِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ ، وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ ، وَالْقُرْآنُ لأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ )[2] . قال ابن حجر ( ت : ٨٥٢هـ ) :" فيحتمل أن تكون ليلة القدر في تلك السنة كانت تلك الليلة فأنزل فيها جملة إلى سماء الدنيا ثم أنزل في اليوم الرابع والعشرين إلى الأرض أول اقرأ باسم ربك"[3] . فهذه الروايات المختلفة تشير إلى أن ابتداء نزول القرآن كان ليلاً،ولا شك أن أول ما نزل من القرآن هو صدر سورة العلق .

**خامساً وسادساً : المعوذتان :** وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أُنْزِلَ أَوْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَاتٌ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ ) . وفي رواية أخرى قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ (قُلْ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : بدء الوحي ، باب : بدء الوحي ح رقم ٣ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب : بدء الوحي إلى رسول الله ﷺح رقم ٢٣٠.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ح رقم ١٦٩٨٤، والبيهقي في سننه ح رقم ١٨٤٢٩ ،وأبو يعلى في مسنده ح رقم ٢١٩٠ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ح رقم ٩٥٩ ،وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ، وفيه عمران بن داود القطان ضعفه يحيى ووثقه ابن حبان .وقال أحمد : أرجو أن يكون صالح الحديث . وبقية رجاله ثقات ، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة إسناده حسن ورجاله ثقات ح رقم ١٥٧٥.

(٣) فتح الباري لابن حجر (٩ / ٥) تحقيق على بن عبد العزيز الشبل ، ورقم وكتبها وأبوابها وأحاديثها الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، ط : دار السلام ، الرياض ، ط١ / ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .

أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) وَ (قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ )[1] . فهذه الروايات الصحيحة تؤكد نزولهما ليلاً .

**المطلب الثاني : الآيات والسور المختلف في نزولها ليلاً :**

هنالك آيات تكلم العلماء في نزولها ليلاً ؛ ولكن اختلفت فيها أقوالهم بسبب ضعف الرواية وعدم صحتها ،أو لأنها محتملة ، أو لتعارضها مع روايات أخرى ، وهي على النحو التالي :

**أولاً : آيات تحويل القبلة :** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ : بَيْنَا النَّاسُ بِقُبَاءٍ فِي صَلاةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ فَقَالَ : ( إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا ، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّأْمِ فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ)[2] .

وعنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَنَزَلَتْ : ( قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ) فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِى سَلِمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً فَنَادَى أَلاَ إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ . فَمَالُوا كَمَا هُمْ نَحْوَ الْقِبْلَةِ )[3].

وعَنْ الْبَرَاءِ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ ـ أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ ـ مِنْ الْأَنْصَارِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاةٍ صَلَّاهَا صَلاةَ الْعَصْرِ وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ )[4] .

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب : فضل قراءة المعوذتين ، ح رقم ٨١٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب :التفسير باب : { وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ إِلَى قَوْلِهِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنْ الظَّالِمِينَ } ح رقم ٤٤٩٠، ومسلم في كتاب :المساجد ومواضع الصلاة باب : تحويلة القبلة من القدس إلى الكعبة ح رقم ٥٢٦.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب :المساجد ومواضع الصلاة باب : تحويلة القبلة من القدس إلى الكعبة ح رقم ٥٢٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التفسير باب : { سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنْ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } ح رقم ٤٤٨٦، ومسلم في كتاب : المساجد ومواضع الصلاة باب : تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة ح رقم ٥٢٥.

قال ابن حجر : " الأقوى أن نزولها كان نهارا ، والجواب عن حديث ابن عمر أن الخبر وصل وقت العصر إلى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة ، ووصل وقت الصبح إلى من هو خارج المدينة وهم بنو عمرو بن عوف أهل قباء ، وقوله قد أنزل عليه الليلة مجاز من إطلاق الليلة على بعض اليوم الماضي والذي يليه "، وقال السيوطي بعد نقله لكلام ابن حجر " فهذا يقتضي أنها نزلت نهارا بين الظهر والعصر "[1] .

والأرجح أنها نزلت ليلاً ؛ لأن حديث أنس لا يعارض رواية ابن عمر ، لأن حديث أنس في وقت بلوغ الخبر لبني سلمة كما في قوله : (فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ بَنِى سَلِمَةَ وَهُمْ رُكُوعٌ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ وَقَدْ صَلَّوْا رَكْعَةً فَنَادَى أَلاَ إِنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ حُوِّلَتْ ) ، وابن عمر يتحدث عن وقت نزولها،وقرينة النص تدل على ذلك: ( إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ فَاسْتَقْبِلُوهَا ) فهو يتحدث عن نفس الليلة ، وهو يؤكد أنها نزلت ليلاً ، وهي الرواية الوحيدة التي تنص على زمان النزول ، وحديث البراء لا يتحدث عن وقت النزول ، وإنما يتحدث عن أول صلاة صلاها ، وقد تكون هي أول صلاة لراوي الحديث ، ودائماً تقليب النظر والتأمل والتفكر في السماء يكون بالليل أكثر من النهار ، كما أن نزولها ليلاً يواكب مقتضيات التحول ؛ إذ الفجر بداية يوم جديد وهو بداية تحول لعهد جديد، وهو التحول من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام ؛ ولهذا قال القاضي جلال الدين البلقيني ( ت : ٨٢٤ ) : " والأرجح بمقتضى الاستدلال نزولها بالليل لأن قضية أهل قباء كانت في الصبح وقباء قريبة من المدينة فيبعد أن يكون رسول الله أخر البيان لهم من العصر إلى الصبح "[2] . والله أعلم

**ثانياً : آية اليوم أكملت لكم دينكم :ـ** عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ : قَالَتِ الْيَهُودُ لِعُمَرَ : لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ يَهُودَ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة:٣) نَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي أُنْزِلَتْ فِيهِ لاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا.قَالَ:فَقَالَ عُمَرُ:" فَقَدْ عَلِمْتُ الْيَوْمَ الَّذِي أُنْزِلَتْ فِيهِ وَالسَّاعَةَ وَأَيْنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ نَزَلَتْ . نَزَلَتْ لَيْلَةَ جَمْعٍ وَنَحْنُ مَعَ

(١) الإتقان في علوم القرآن (١ / ٤٩).
(٢) الإتقان في علوم القرآن (١ / ٤٩) .

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَرَفَاتٍ )[1] . وفي رواية أخرى (أُنْزِلَتْ بِعَرَفَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ)[2] . وفي رواية: ( نزلت عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ)[3].

فالرواية الأولى أنها (نَزَلَتْ لَيْلَةَ جَمْعٍ وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِعَرَفَاتٍ) ، والرواية الثانية أنها (أُنْزِلَتْ بِعَرَفَةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ)،والرواية الثالثة أنها( نزلت عَشِيَّةَ عَرَفَةَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ) فهنالك اتفاق في المكان في عرفات ، واليوم وهو يوم الجمعة ، وهنالك اختلاف في الزمان الذي نزلت فيه،والراجح أنها نزلت يوم عرفة عشية والرسول ﷺ واقف على الموقف لم يدفع،وكان يوم جمعة،وهذا ما نص عليه عدد من أهل العلم منهم ابن جرير ( ت :٣١٠هـ )[4] ، وشيخ الإسلام ابن تيمية[5] ، وابن كثير(ت :٧٧١هـ ) [6] ، والسيوطي[7] ، قال ابن جرير بعد أن سرد جميع الروايات التي ذكرت في سبب نزولها:" وأولى الأقوال في وقت نزول الآية، القولُ الذي روي عن عمر بن الخطاب: أنها نزلت يوم عرفة يوم جمعة، لصحة سنده، وَوَهْي أسانيد غيره "[8] ، وقال القرطبي " أنها نزلت في يوم جمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر ورسول الله ﷺ واقف بعرفة على ناقته العضباء ، فكاد عضد الناقة ينقد من ثقلها فبركت "[9] .

وما جاء أنها نزلت ليلة جمع مراد بها عشية عرفة لأن النبي ﷺ دفع بعد المغيب، كما جاء في الحديث: ( فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلاً حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقَصْوَاءِ

(١) أخرجه مسلم في كتاب : التفسير ، باب (١)ح رقم ٧٧١١.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب التفسير ، باب ( ١) ح رقم ٧٧١٠.
(٣) مسند أحمد بن حنبل ح رقم ١٨٨،والواحدي في أسباب نزول القرآن الكريم (١ / ١٨٢، وإسناده صحيح على شرط الشيخين . انظر : مسند أحمد بن حنبل (١ / ٢٨).
(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن ( ٤/. ٢٦٩٨) .
(٥) مجموع الفتاوى (٢٠/ ١٥٢).
(٦) تفسير القرآن العظيم ابن كثير (٣ / ٢٨).
(٧) الإتقان في علوم القرآن (١ / ٤٤).
(٨) جامع البيان (٤ / ٢٧٠٣)
(٩) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦ / ٦١).

الزِّمَامَ حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى : أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ )[1] . والله أعلم .

**ثالثاً: ( والله يعصمك من الناس ) من سورة المائدة :** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾(المائدة: ٦٧)،فَأَخْرَجَ النَّبِيُّ ﷺ رَأْسَهُ مِنَ الْقُبَّةِ فَقَالَ : ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ انْصَرِفُوا فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ )[2]. فهذه الرواية وإن لم تنص على وقت النزول ولكن يفهم من دلالات النص أنها نزلت ليلاً ؛ لأن النبي ﷺ كان يحرس ليلاً ، قال السيوطي : فأخرج رأسه من القبة فقال: يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله . في هذا الحديث دليل على أنها ـ أي الآية ـ ليلية نزلت ليلا فراشية ـ والرسول في فراشه "[3] .

**رابعاً : سورة الأنعام :** عن ابن عباس -رضي الله عنهما -قال:" نزلتْ سورةُ الأنعام بمكة ليلا جملةً ، حولها سبعونَ ألفَ مَلَكٍ يجأرون بالتسبيح "[4] ، فإن صحت هذه الرواية تكون نزلت هذه السورة جملة ليلاً . والله أعلم .

**خامساً : سورة مريم :** روى الطبراني عن أبي مريم الغساني قال: أتيت

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب : الحج ، باب : حجة النبي ﷺ ح رقم ٣٠٠٩.

(٢) أخرجه الترمذي ح رقم ٣٠٤٦، وقال : حديث غريب ، والبيهقي في السنن الكبرى ح رقم ١٨١٨٦ ، والحاكم في المستدرك ح رقم ٣٢٢١،وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه ، وعلق الذهبي في التلخيص : صحيح ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي .

(٣) تفسير الجلالين (٢/ ٣٣٣) ، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (١/ ٨٢).

(٤) أخرجه أبو عبيدة في فضائل القرآن ص ١٢٩ ح رقم ٣٧٢ ، والطبراني في المعجم الكبير ح رقم ١٢٩٣٠ ، ورواه ابن الضريس في فضائل القرآن ص ١٥٧ ، والسيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور( ٣ / ٢٤٣ ) وزاد نسبته لابن مردويه ، وابن كثير في تفسيره (٣ / ٢٣٧) وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف كما في التقريب ص٦٩٦ برقم ٤٧٦٨، وله شاهد من حديث ابن عمر وأنس رضي الله عنهم أخرجهما الطبراني في الصغير (٨١/١ ) والأوسط كما في مجمع البحرين (٢٢/٦ ) ح رقم ٣٣١٦ ، ٣٣١٧ ، وضعف الهيثمي في الزوائد إسناده حيث قال : رواه الطبراني في الصغير وفيه يوسف بن عطية الصفار وهو ضعيف جدا ( ٢٠/٧ ) ، وقد جاء في الضعفاء الكبير للعقيلي (٩ / ٤٢٢) قال البخاري: يوسف بن عطية منكر الحديث ، وقال محققو كتاب الإتقان في مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية : " ولعله يتقوى بشواهده ، وانظر شواهده في مجمع الزوائد (٧ / ١٩ ، ٢٠ ) من حديث ابن عمر وأنس وأسماء بنت يزيد مع بعض الاختلاف" .

رسول الله ﷺ فقلت: ولدت لي الليلة جارية فقال:( والليلة نزلت عليّ سورة مريم سمها مريم )[1]. فالحديث ضعيف لم يصح في سنده ، ولذا لم يثبت في وقت نزولها شيء .

**سادساً : أول الحج :** ذكره ابن حبيب ومحمد بن بركات السعدي في كتابه الناسخ والمنسوخ ، وجزم به السخاوي ( ت : ٦٤٣ )[2]،قال السيوطي في الإتقان : وقد يستدل له بما أخرجه ابن مردويه عن عمران بن حصين أنها نزلت على النبي ﷺ وقد نعس بعض القوم وتفرق بعضهم فرفع بها صوته الحديث"[3] ، والحديث جاء عن عَبْد اللَّهِ بن أَحْمَدَ بن حَنْبَلٍ، حَدَّثَنَا هُدْبَةُ بن خَالِدٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بن سَلَمَة، عَنْ ثَابِتٍ، عَنِ الْحَسَنِ، عَنْ عِمْرَانَ بن حُصَيْنٍ،قَالَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾ ( الحج آية ١) وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ وَقَدْ نَعَسَ بَعْضُ الْقَوْمِ، وَتَفَرَّقَ بَعْضُهُمْ، فَرَفَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺصَوْتَهُ... )[4] الحديث .

فلم تنص أي رواية على أن ذلك كان ليلاً إلا رواية الطبراني حيث جاء فيها : (نزلت هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾ ونحن مع رسول الله ﷺ في سفر وقد نعس بعض القوم وتفرق بعضهم فرفع بها رسول الله ﷺصوته ) علماً بأن جميع الروايات تثبت أنها نزلت في سفر ، وما جاء فيها من قول الراوي " وقد نعس بعض القوم وتفرق بعضهم فرفع بها رسول الله ﷺصوته" فقط هو الذي يشير للنزول الليلي .

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ح رقم ٨٣٤ وهو ضعيف جدا مداره على سليمان بن سلمة الخبائري ، متروك كما في المغني في الضعفاء للذهبي (٢٨٠/١ ) وبه ضعفه الهيثمي في المجمع ( ٥٥/٨ )، وفيه أيضاً : أبو بكر بن أبي مريم ضعيف كما في التقريب ص١١١٦ برقم ٨٠٣١ . وانظر : الإتقان للسيوطي ( ١٤٢/١ ) .

(٢) جمال القراء وكمال الإقراء (١٤/١ ).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (١/ ١٤٢ ) .

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند ح رقم ١٩٩١٥،النسائي ح رقم ع٦٠،والترمذي ح رقم ٣١٦٨ ، والحاكم في المستدرك (٣٦/١ ) ، الطبراني في المعجم الكبير ح رقم ٣٤٠ ، وقال الترمذي صحيح الإسناد ، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي ، وقال الحاكم : صحيح على شرطهما جميعا و لم يخرجاه ولا واحد منهما ، وقال الذهبي: صحيح الإسناد .

**سابعاً : آية الإذن في خروج النسوة في الأحزاب:** عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : خَرَجَتْ سَوْدَةُ بَعْدَمَا ضُرِبَ الْحِجَابُ لِحَاجَتِهَا وَكَانَتْ امْرَأَةً جَسِيمَةً لا تَخْفَى عَلَى مَنْ يَعْرِفُهَا ، فَرَآهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ فَقَالَ : يَا سَوْدَةُ أَمَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَيْنَ عَلَيْنَا فَانْظُرِي كَيْفَ تَخْرُجِينَ ، قَالَتْ : فَانْكَفَأْتُ رَاجِعَةً وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَشَّى وَفِي يَدِهِ عرْقٌ فَدَخَلَتْ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي خَرَجْتُ لِبَعْضِ حَاجَتِي فَقَالَ لِي عُمَرُ كَذَا وَكَذَا ، قَالَتْ: فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ ثُمَّ رُفِعَ عَنْهُ وَإِنَّ الْعرْقَ فِي يَدِهِ مَا وَضَعَهُ فَقَالَ:( إِنَّهُ قَدْ أُذِنَ لَكُنَّ أَنْ تَخْرُجْنَ لِحَاجَتِكُنَّ )[1] .

وعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ أَزْوَاجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُنَّ يَخْرُجْنَ بِاللَّيْلِ إِذَا تَبَرَّزْنَ إِلَى الْمَنَاصِعِ وَهُوَ صَعِيدٌ أَفْيَحُ وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ احْجُبْ نِسَاءَكَ. فَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُ فَخَرَجَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي عِشَاءً وَكَانَتِ امْرَأَةً طَوِيلَةً فَنَادَاهَا عُمَرُ أَلاَ قَدْ عَرَفْنَاكِ يَا سَوْدَةُ. حِرْصًا عَلَى أَنْ يُنْزِلَ الْحِجَابَ . قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحِجَابَ )[2]. قال القاضي جلال الدين البلقيني: " وإنما قلنا أن ذلك كان ليلا لأنهن إنما كن يخرجن للحاجة ليلا كما في الصحيح عن عائشة في حديث الإفك "[3] ، فهذه الروايات ليس فيها ما ينص على نزولها في الليل ولكنها محتملة .

**ثامناً : قوله تعالى:( وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ) :ـ** عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَبَعَثَ إِلَى نِسَائِهِ فَقُلْنَ: مَا مَعَنَا إِلَّا الْمَاءُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ يَضُمُّ أَوْ يُضِيفُ هَذَا ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ : أَنَا فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ : أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَتْ : مَا عِنْدَنَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي ، فَقَالَ : هَيِّئِي طَعَامَكِ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ وَنَوِّمِي صِبْيَانَكِ إِذَا أَرَادُوا عَشَاءً فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا وَأَصْبَحَتْ سِرَاجَهَا وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : التفسير ، باب : سورة الأحزاب ح رقم ٤٥١٦، ومسلم كتاب : السلام ، باب : إباحة الخروج للنساء لقضاء الحاجة ح رقم ٥٧٩٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب : السلام ، باب : إِبَاحَةُ الْخُرُوجِ لِلنِّسَاءِ لِقَضَاءِ حَاجَةِ الإِنْسَانِ ح رقم ٥٧٩٩.

(٣) إتمام الدراية لقراء النقاية، للسيوطي (١ / ٢٤) ، والإتقان في علوم القرآن (١ / ١٤٤).

ضَحِكَ اللَّهُ اللَّيْلَةَ أوْ عَجِبَ مِنْ فَعَالِكُمَا فَأنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ الحشر: ٩ )[1] .

وعَنْ أبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : أتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأرْسَلَ إلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ألا رَجُلٌ يُضَيِّفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الْأنْصَارِ فَقَالَ : أنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَذَهَبَ إلَى أهْلِهِ فَقَالَ لامْرَأتِهِ : ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا ، قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ قَالَ: فَإذَا أرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ وَتَعَالَيْ فَأطْفِئِي السِّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ فَفَعَلَتْ ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أوْ ضَحِكَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةَ فَأنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[2] . فليس فيها ما هو صريح في وقت نزولها على أنها نزلت ليلاً ، ولكنها محتملة ، لأنه قد يكون هنالك تراخٍ بين سبب النزول ووقت النزول .

**تاسعاً : سورة المنافقون :** عَنْ السُّدِّيِّ عَنْ أبِي سَعْدٍ الْأزْدِيِّ حَدَّثَنَا زَيْدُ بْنُ أرْقَمَ قَالَ : غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ مَعَنَا أُنَاسٌ مِنْ الْأعْرَابِ فَكُنَّا نَبْتَدِرُ الْمَاءَ ، وَكَانَ الْأعْرَابُ يَسْبِقُونَّا إلَيْهِ ، فَسَبَقَ أعْرَابِيٌّ أصْحَابَهُ فَيَسْبَقُ الْأعْرَابِيُّ فَيَمْلَأُ الْحَوْضَ وَيَجْعَلُ حَوْلَهُ حِجَارَةً وَيَجْعَلُ النِّطَعَ عَلَيْهِ حَتَّى يَجِيءَ أصْحَابُهُ ، قَالَ : فَأتَى رَجُلٌ مِنْ الْأنْصَارِ أعْرَابِيًّا فَأرْخَى زِمَامَ نَاقَتِهِ لِتَشْرَبَ فَأبَى أنْ يَدَعَهُ فَانْتَزَعَ قِبَاضَ الْمَاءِ فَرَفَعَ الْأعْرَابِيُّ خَشَبَتَهُ فَضَرَبَ بِهَا رَأسَ الْأنْصَارِيِّ فَشَجَّهُ ، فَأتَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ رَأسَ الْمُنَافِقِينَ فَأخْبَرَهُ وَكَانَ مِنْ أصْحَابِهِ فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ثُمَّ قَالَ : لا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ . يَعْنِي الْأعْرَابَ ، وَكَانُوا يَحْضُرُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الطَّعَامِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ إذَا انْفَضُّوا مِنْ عِنْدِ مُحَمَّدٍ فَأتُوا مُحَمَّدًا بِالطَّعَامِ فَلْيَأكُلْ هُوَ وَمَنْ عِنْدَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِأصْحَابِهِ : لَئِنْ رَجَعْنَا إلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأعَزُّ مِنْهَا الْأذَلَّ ، قَالَ زَيْدٌ : وَأنَا رِدْفُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أُبَيٍّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : قَوْلِ اللَّهِ { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } ح رقم ٣٧٩٨ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب : مناقب الأنصار ، باب : قَوْلِ اللَّهِ { وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } ح رقم ٤٨٨٩ .

فَأَخْبَرْتُ عَمِّي فَانْطَلَقَ فَأَخْبَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺفَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَحَلَفَ وَجَحَدَ قَالَ : فَصَدَّقَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَذَّبَنِي ، قَالَ : فَجَاءَ عَمِّي إِلَيَّ فَقَالَ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا أَنْ مَقَتَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَذَّبَكَ وَالْمُسْلِمُونَ ، قَالَ: فَوَقَعَ عَلَيَّ مِنْ الْهَمِّ مَا لَمْ يَقَعْ عَلَى أَحَدٍ ، قَالَ : فَبَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ قَدْ خَفَقْتُ بِرَأْسِي مِنْ الْهَمِّ إِذْ أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَعَرَكَ أُذُنِي وَضَحِكَ فِي وَجْهِي فَمَا كَانَ يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الْخُلْدَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَحِقَنِي فَقَالَ : مَا قَالَ لَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قُلْتُ : مَا قَالَ لِي شَيْئًا إِلَّا أَنَّهُ عَرَكَ أُذُنِي وَضَحِكَ فِي وَجْهِي ، فَقَالَ : أَبْشِرْ ثُمَّ لَحِقَنِي عُمَرُ فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ قَوْلِي لِأَبِي بَكْرٍ فَلَمَّا أَصْبَحْنَا قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سُورَةَ الْمُنَافِقِينَ )[1] . وفي ذلك دليل على نزولها ليلاً وتلاوتها للناس بعد أن أصبحوا . والله أعلم .

**عاشراً : سورة المرسلات :ـ** عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود ﷺ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَارٍ فَنَزَلَتْ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا فَإِنَّا لَنَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ إِذْ خَرَجَتْ حَيَّةٌ مِنْ جُحْرِهَا فَابْتَدَرْنَاهَا لِنَقْتُلَهَا فَسَبَقَتْنَا فَدَخَلَتْ جُحْرَهَا فَقَال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( وُقِيَتْ شَرَّكُمْ كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا ) [2] . وفي رواية أخرى له في البخاري : (قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَارٍ بِمِنًى إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِ وَالْمُرْسَلَاتِ وَإِنَّهُ لَيَتْلُوهَا وَإِنِّي لَأَتَلَقَّاهَا مِنْ فِيهِ وَإِنَّ فَاهُ لَرَطْبٌ بِهَا إِذْ وَثَبَتْ عَلَيْنَا حَيَّةٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : اقْتُلُوهَا فَابْتَدَرْنَاهَا فَذَهَبَتْ , فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وُقِيَتْ شَرَّكُمْ كَمَا وُقِيتُمْ شَرَّهَا) [3] . قال السخاوي في جمال القراء : " روي عن ابن مسعود أنها نزلت على رسول الله ﷺ ليلة الجن بحراء "[4] ، قال السيوطي : " قلت هذا أثر لا يعرف ثم رأيت في صحيح الإسماعيلي وهو مستخرجه على البخاري أنها نزلت ليلة عرفة بغار منى ، وهو في الصحيحين بدون قوله ليلة عرفة ، والمراد بها ليلة التاسع من ذي الحجة فإنها التي كان النبي

(١) أخرجه الترمذي ح رقم ٣٣١٣ ، والطبراني في المعجم الكبير ح ٥٠٤١، وابن أبي شيبة في مسنده ح رقم ٥٢١ وقَالَ الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وقال الألباني في حكمه على أحاديثه : صحيح الإسناد .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب: الحج ، باب : خَمْسٌ مِنْ الدَّوَابِّ فَوَاسِقُ يُقْتَلْنَ فِي الْحَرَمِ ح رقم ٣٣١٧.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب : الحج ، باب : مَا يَقْتُلُ الْمُحْرِمُ مِنْ الدَّوَابِّ ح رقم ١٨٣٠.

(٤) جمال القراء وكمال الإقراء ( ١/ ١٤٦ ) .

ﷺ يبيتها بمنى "[1] ، فإن صحت هذه الرواية تكون دليلاً على نزولها ليلاً . والله أعلم.

## المبحث الثاني

## أثر وقت النزول في فهم المعنى والعمل به

**النموذج الأول : أواخر آل عمران :**

قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ ( آل عمران: ١٩٠ ١٩١) .

**أولاً : المعنى العام للآيات :**

بين تعالى لعباده بأن في خلق السماوات والأرض وتقلب الليل والنهار " من الآيات العجيبة والبراهين الواضحة ما يبهر الناظرين، ويقنع المتفكرين، ويجذب أفئدة الصادقين، وينبه العقول النيرة على جميع المطالب الإلهية "[2] وفي ضمن ذلك حث العباد على التفكر فيها، والتبصر بآياتها، وتدبر خلقها ، وقد خص الله بالآيات أولي الألباب، وهم أهل العقول؛ لأنهم هم المنتفعون بها، الناظرون إليها بعقولهم لا بأبصارهم .ثم وصف أولي الألباب بأنهم ﴿يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ ﴾ في جميع أحوالهم:﴿ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ وهذا يشمل جميع أنواع الذكر بالقول والقلب، ويدخل في ذلك الصلاة قائما، فإن لم يستطع فقاعدا، فإن لم يستطع فعلى

(١) الإتقان في علوم القرآن ( ١/ ٥١ ) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (١ / ٣٥٩) .

جنب، وأنهم مع الذكر ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ فيسلك هذا التفكر مسلك العبادة ، ويجعله جانباً من مشهد الذكر ." أي: ليستدلوا بها على المقصود منها، ودل هذا على أن التفكر عبادة من صفات أولياء الله العارفين ، فإذا تفكروا بها، عرفوا أن الله لم يخلقها عبثا، فيقولون ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ ﴾ عن كل ما لا يليق بجلالك ، بل خلقتها بالحق وللحق ، مشتملة على الحق﴿ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ بأن تعصمنا من السيئات، وتوفقنا للأعمال الصالحات، لننال بذلك النجاة من النار. ويتضمن ذلك سؤال الجنة، لأنهم إذا وقاهم الله عذاب النار حصلت لهم الجنة، ولكن لما قام الخوف بقلوبهم، دعوا الله بأهم الأمور عندهم "[1] .

**ثانياً : أثر وقت النزول في فهم المعنى والعمل به :**

أمر الله عباده في هذه الآية بالتفكر في بعض آياته الكونية ، واستعمال عقولهم في التأمل في عِظم خلقها ، ولما كانت السماء أعظم تلك المخلوقات وضوحاً على دلائل وحدانيته قدمها في الذكر ؛ " وذلك لأن الدلائل السماوية أقهر وأبهر ، والعجائب فيها أكثر ، وانتقال القلب منها إلى عظمة الله وكبريائه أشد وأسرع "[2] ، من حيث عظم بنائها، وسعة أرجائها ، وحسن استوائها ، وجمال زينتها ، حتى أن المتأمل فيها ليدهش من بديع صنعها ، وعظيم خلقها ، واتساع أرجائها بدون عمد تسندها ؛ أو شقوقاً وفطوراً تصدعها، قال تعالى:﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾(الملك: ٣، ٤) ،وقال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ ( ق : ٦ )، لأن " ما فيها من العظمة والسعة، وانتظام السير والحركة يدل على عظمة خالقها، وعظمة سلطانه وشمول قدرته . وما فيها من الإحكام والإتقان ، وبديع الصنع ولطائف الفعل يدل على حكمة الله

(١) انظر : فتح القدير لمحمد علي الشوكاني (١ /٤١٠) ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١ / ١٦) ، وفي ظلال القرآن لسيد قطب (٢ / ٢٩) .
(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٥ / ٩) .

ووضعه الأشياء مواضعها،وسعة علمه . وما فيها من المنافع للخلق يدل على سعة رحمة الله، وعموم فضله، وشمول بره، ووجوب شكره . وكل ذلك يدل على تعلق القلب بخالقها ومبدعها، وبذل الجهد في مرضاته، وأن لا يشرك به سواه، ممن لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء "[1] . كما أن التفكر في السماء يوحي في النفس عظمة الخالق المالك ، كما يحيي في النفس عظمة الرب الرازق الباسط كما قال تعالى:﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴾ ( النحل: ٦٥ )، كما أنه يحيي في النفس عظمة المبدع الحافظ القادر كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗاۖ وَهُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهَا مُعۡرِضُونَ ٣٢ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ ( الأنبياء: ٣٢ – ٣٣ ) .

ولما كانت آية السماء أكثر وضوحاً في الدلالة وأعظم فهماً في الليل أنزل الله ﷻ هذه الآية التي تحث على التفكر فيها ليلاً حيث تتجلى آية قمرها المنير, ونجومها الزاهية ، كما أن هدوء الليل وسكونه وظلامه ووحشته ليوحي إلى النفس إجلالاً وعظمة وهيبة لمن خلقها ورفعها وزينها وكملها وجملها ، خاصة في نفس قلب مطمئن بالله متقلب في ذكره في سائر أحواله ، بما يجعل لذلك التفكر أثر إيماني عميق في النفوس ، واستجابة متجددة في الجوارح , بما يجعل في نفوسهم من دلائل الحب والخشية والعظمة والجلال والجمال ما تقصر دونه العبارة ، ويترجمه هذا الدعاء الخاشع الذي ينطلق من الأعماق من خلال هدوء وسكون الليل الذي أمرنا بالتدبر من خلاله ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ ، ولذا أبكت هذه الآية نبينا الكريم وهو يتلوها ويتدبرها حتى أقضت مضجعه ولم تجعله يهنأ بالنوم في ليلته التي نزلت فيها،بل استمر يتلوها في غيرها من الليالي،وهو ينظر في السماء ﷺ إشعاراً بأهمية التفكر في ملكوت السماوات والأرض ، فإن معايشة القرآن بهذه الطريقة النبوية يفتح من دلائل الفهم ، وعمق التدبر ما الله به عليم ، ولذا قال ﷺ: ( ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها)،قيل

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١ / ١٦١) .

للأوزاعي: " ما غاية التفكر فيهن ؟ قال: يقرؤهن وهو يعقلهن"[1]، فمن تلاها حق تلاوتها في الوقت الذي نزلت فيه تفتحت عليه من معاني الوحدانية والعظمة والقدرة وغيرها ما لا يتحقق لمن تلاها في أي وقت آخر .

وكما لوقت النزول أثر في الفهم له كذلك أثره في العمل ؛ وذلك لأن التفكر في السماء أمر مطلوب وسنة نبوبة مرغوبة ، خاصة في الوقت الذي نزلت فيه الآيات ، قال القرطبي : " قال العلماء : يستحب لمن انتبه من نومه أن يمسح على وجهه ، ويستفتح قيامه بقراءة هذه العشر الآيات اقتداء بالنبي ﷺ ، ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما وسيأتي ؛ ثم يصلي ما كتب له ، فيجمع بين التفكر والعمل ، وهو أفضل العمل على ما يأتي بيانه في هذه الآية بعد هذا "[2] .

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ خَالَتُهُ قَالَ : فَاضْطَجَعْتُ عَلَى عَرْضِ الْوِسَادَةِ وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَلَسَ فَمَسَحَ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ آيَاتٍ خَوَاتِيمَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوأَهُ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتِلُهَا بِيَدِهِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَوْتَرَ ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى جَاءَهُ الْمُؤَذِّنُ فَقَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ"[3] .

وفي لفظ للبخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ فَتَحَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً ثُمَّ رَقَدَ فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ قَعَدَ فَنَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ ثُمَّ قَامَ فَتَوَضَّأَ وَاسْتَنَّ فَصَلَّى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً ثُمَّ أَذَّنَ بِلَالٌ فَصَلَّى

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (٣ / ١٧٦).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤ / ٣١٠) .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : الصلاة باب : مَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ح رقم ١١٩٨، ومسلم في كتاب : صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الدعاء في صلاة الليل وقيامه ح رقم ١٨٣٢.

رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ "[1] .

فانظر كيف جمع النبي ﷺ بين العمل بهذه الآيات تفكراً ، وتلاوتها ذكراً في الزمان الذي نزلت فيه ،جمعاً بين التفكر في عظيم الخلق مع دوام الذكر، كما قال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾( آل عمران: ١٩١) فجمع بين النظر في آياته المنظورة،وتلاوة آياته المقروءة اللذين بهما كمال الهدى والخير في الوقت الذي نزلت فيه ، وفي العمل بهما ليلاً أثر عظيم قال تعالى : ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ ( المزمل: ٦ ) ،ولهذا كان في معرفة وقت النزول إحياء لهديه مع القرآن ، ولذا استحب العلماء لمن قام في الليل متهجداً أن يقرأها ويتفكر فيها وفي خلق السماوات ؛ ثم يصلي ما كتب له ، ليجمع بين تلاوة هذه الآيات والعمل بها ؛ لأن قوله : (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ) يتدبرون ويفهمون ما فيهما من الحكم الدالة على وحدانية الله تعالى وعظمته، وكمال قدرته، وعلمه، وحكمته، واختياره ورحمته... " والتفكر في القرآن نوعان: تفكر فيه ليقع على مراد الرب، وتفكر في معاني ما دعا عباده إلى التفكر فيه، وإذا تأملت ما دعا سبحانه عباده إلى التفكر فيه أوقعك على العلم به وبأسمائه وصفاته، ورحمته، وإحسانه، وبره ورضاه، وغضبه وثوابه وعقابه، فبهذا تعرف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في آياته "[2] .

**النموذج الثاني : آيات الثلاثة الذين خلفوا من سورة التوبة :**

قال تعالى : ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾

**أولاً : المعنى العام للآيات :**

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب : تفسير القرآن ، بَاب : قَوْلِهِ { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ } ح رقم ٤٥٦٩.

(٢)الأنوار الساطعات لآيات جامعات ، لعَبدِ العَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدٍ السّلمان (٢ / ١٤٢).

هذه الآيات نزلت في الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول ﷺ في غزوة تبوك، وأرجأ النبي ﷺ أمر توبتهم ، وهم : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وكلهم من الأنصار ، وقد صَدَقُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺفي تخلفهم بغير عذر ، فلم يكن ذلك نفاقاً، ولا قصداً للمخالفة، وإنما كان كسلا وميلا إلى الدَّعَة خاصة بعد ما طابت الثمار والظلال ، فلما رجع رسول الله ﷺ عتب عليهم ، وأمر ألا يكلمهم أحد، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم، حتى يقضي الله فيهم ، كما قال كعب : " قلت : يا رسول الله،إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ؛ ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عقبى الله ، والله ما كان لي عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك . قال رسول الله ﷺ: " أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك " ، فبقوا على ذلك خمسين ليلة، " حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت يعني مع سعتها ، وضاقت عليهم أنفسهم يعني صدورهم بسبب الهم والغم ومجانبة النبي ﷺ والأولياء والأحباء كلامهم ومعاملتهم وأمر أزواجهم باعتزالهم ، ونظر الناس لهم بعين الإهانة وتأخير نزول توبتهم ،{وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ} أي تيقنوا أنه لا مخلص لهم ، ولا معتصم في طلب الفرج مما هم فيه إلا إلى الله ، وأنه لا يملك ذلك غيره ولا يجوز لهم أن يطلبوا ذلك إلا من قبله ، العبادة له والرغبة إليه ، فحينئذ أنزل الله تعالى على نبيه قبول توبتهم ، وكذلك سنة الله تعالى فيمن انقطع إليه وعلم أنه لا كاشف لهمه غيره أنه سينجيه ويكشف عنه {إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ} أي: كثير التوبة والعفو، والغفران عن الزلات والعصيان، {الرَّحِيمُ} وصفته الرحمة العظيمة التي لا تزال تنزل على العباد في كل وقت وحين، في جميع اللحظات، ما تقوم به أمورهم الدينية والدنيوية، فلما كان الصدق صفة من خرج معه وصفة هؤلاء الذين تاب عليهم قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ اصدُقوا والزموا الصدق وكونوا مع الصادقين حتى تنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجا من أموركم ومخرجا، وكذلك المراد بقوله: {كُونُواْ مَعَ الصادقين} أي كونوا على طريقة الصادقين ، في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ، الذين أقوالهم صدق، وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقا ، خالية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة " وقصتهم مشهورة معروفة في الصحاح والسنن والمسانيد[1] .

**ثانياً : أثر وقت النزول في فهم المعنى والعمل به :**

جاءت هذه الآيات في الثلث الأخير من الليل والنبيﷺ في بيت أم سلمة ، تحمل أعظم بشارة في قبول توبة من صدقوا مع الله ومع نبيه ، توبة تهلل لها وجه النبيﷺ ، وأرادت أم سلمة التي كانت محسنة في شأنهم أن تبشر بها ليلاً ، لولا ما خشيه النبيﷺ من آثار إعلانها على الناس ، كما قال كعب : ( فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَوْبَتَنَا عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ حِينَ بَقِيَ الثُّلُثُ الْآخِرُ مِنْ اللَّيْلِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ مُحْسِنَةً فِي شَأْنِي مَعْنِيَّةً فِي أَمْرِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( يَا أُمَّ سَلَمَةَ تِيبَ عَلَى كَعْبٍ ) ، قَالَتْ : أَفَلَا أُرْسِلُ إِلَيْهِ فَأُبَشِّرَهُ، قَالَ : ( إِذًا يَحْطِمَكُمْ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمْ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ ) حَتَّى إِذَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ آذَنَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا، وَكَانَ إِذَا اسْتَبْشَرَ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ مِنْ الْقَمَرِ) ، توبة من ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم، كما يقول كعب بن مالك : " فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوْفَى عَلَى سَلْعٍ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : يَا كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ أَبْشِرْ -قَالَ - فَخَرَرْتُ سَاجِدًا وَعَرَفْتُ أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ " ، توبة تسابق الصحاب في نقلها وإيصالها فركض لها الفارس ، وهتف بها آخر من الجبل ليكون أسبق في البشارة ، وأصبحوا أفواجاً يهنئونهم بها ، كما قال كعب: " فَآذَنَ رَسُولُ

(١)انظر : معالم التنزيل ، للبغوي (٤ / ١٠٥) ، ومفاتيح الغيب ، للرازي ( ٨ / ١٧٤) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨ / ٢٨٤ ـ ٢٨٧) ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤ / ٢١٠ ـ ٢٣٠) ، وإرشاد العقل السليم لأبي السعود (٤ / ١٠٩) ، والتحرير والتنوير (١١ / ٥٤) ، واللباب في علوم الكتاب ، لابن عادل الحنبلي ( ١٠ / ٢٣٤) ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١ / ٣٥٤)، والوسيط لسيد طنطاوي ( ١ / ٢٠٤١) .

اللَّهِ ﷺ النَّاسَ بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّى صَلاَةَ الْفَجْرِ فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا ، فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرُونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي وَأَوْفَى الْجَبَلَ فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي فَنَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ وَاللَّهِ مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ . فَلَبِسْتُهُمَا فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لِتَهْنِئْكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ . حَتَّى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يُهَرْوِلُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي ، وَاللَّهِ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ . قَالَ فَكَانَ كَعْبٌ لاَ يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ . قَالَ كَعْبٌ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ:« أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ ».

فهي آيات في قبول التوبة تفاعلت معها الجماعة المسلمة رجال ونساء،لم يكن حدثها عادياً مما يتطلب لمن يتلو هذه الآيات أن يعايش أحوال النزول ليشعر بعظمة ما تحمله من فرج ، ويدرك قيمة الصدق وجعل حياته مع الصادقين خاصة أهل السبق من سلفنا الصالح، ولينظر إلى مكان النزول ليفهم أن كان تكريماً لأم سلمة التي كانت محسنة في شأنهم معينة في أمرهم ، ولينظر لزمان النزول ليفهم أن هذه هي ساعة التائبين والمستغفرين والسائلين ويفهم من يتلو تلك الآيات فضل الثلث الأخير من الليل وفضل الاجتهاد فيه دعاء واستغفارا، فهذه هي الساعة التي يتوب الله فيها على عباده ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ( يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ )[1] ، وقد بوَّب الإمام النووي باب في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء وذكر حديث جَابِرٍ ﷺ قَالَ :(سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ إِنَّ فِي اللَّيْلِ لَسَاعَةً لا يُوَافِقُهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ إِلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ،وَذَلِكَ كُلّ لَيْلَةٍ)[2].

فهذه الأحاديث توضح فضل الوقت الذي أنزل الله فيه آية الثلاثة الذين خلفوا وفي ذلك إشارة واضحة إلى عباده أن يغتنموا هذه الساعة لدعائهم واستغفارهم ، وحاجتهم مع ربهم . قال النووي : " فيه دليل على امتداد وقت الرحمة واللطف التام إلى إضاءة الفجر، وفيه الحث على الدعاء والاستغفار في

(١) رواه البخاري, كتاب الدعوات, باب: الدعاء نصف الليل, ح رقم٦٣٢١, ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل, ح رقم٧٥٨.

(٢) مسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب: في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء, ح رقم١٢٥٩.

جميع الوقت المذكور إلى إضاءة الفجر،وفيه تنبيه على أن آخر الليل للصلاة والدعاء والاستغفار وغيرها من الطاعات أفضل من أوله والله أعلم "[1] .

**النموذج الثالث : صدر سورة العلق :**

**أولاً : المعنى العام للآيات :**

هذه الآيات هِيَ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ ـ على الصحيح ـ ليلاً على النبي ﷺ وهو في متعبده بغار حراء ، ولما كانت هذه الآيات هي افتتاحية الوحي وأول ما خاطب الله به النبي ﷺ وعباده من كلامه كانت موضع عناية المفسرين وغيرهم ، والكلام عن ما تضمنته من دقائق المعاني مستفيض في كتب التفسير والحديث والسيرة وغيرها ، ونحن هنا سوف نكتفي بالمعنى العام لطبيعة هذه الدراسة .

فقد أمر الله نبيه والأمة تبعاً له بقوله ( اقرأ ) والذي أمر بقراءته إجماعاً هو القرآن[2] ، " ولم يُذكر لِفعل ( اقرأ ) مفعول ، إما لأنه نزل منزلة اللازم وأن المقصود أوجد القراءة ، وإما لظهور المقروء من المقام ، وتقديره : اقرأ ما سنلقيه إليك من القرآن "[3] ، مُفَتَتِحاً قِرَاءَتَه بِاسْمِ رَبِّه ومستعيناً به ( إقرأ باسم ربك) " والتعرُّض لعنوان الربوبية المنبئة عن التربية والتبليغ إلى الكمال اللائق شيئاً فشيئاً مع الإضافة إلى ضميره ﷺ للإشعار بتبليغه عليه السلام إلى الغاية القاصية من الكمالات البشرية والروحانية بإنزال الوحي المشتمل على نهاية العلوم والحكم"[4] ، وقوله تعالى: {الذي خلقَ } صفة للرب، ولم يذكر له مفعولاً؛ لأنَّ المعنى : الذي حصل منه الخلق ، واستأثر به، لا خالق سواه ، فهو وَحْدَهُ الذي له القُدْرَةُ عَلَى الخَلْق ، ومن أعظم خلقه {خَلَق الإنسانَ} وخصه بالذكر من بين ما يتناوله لأنه أشرف المخلوقات ؛ ولأن فيه من بدائع الصنع والتدبير ما فيه ، ولأنَّ التنزيل إنما هو إليه ( من علق ) ليذكره بقدرته ونعمته وضعفه وحاجته لربه ، أي خلق الإنسان السَّوِيَّ القَوِيَّ ، مِنْ نُطْفَةٍ تَنْطَلِقُ مِنْ صُلْبِ الرَّجُلِ فَتَسْتَقِرُّ فِي رَحِمِ الأُنْثَى ، فَتَتَطَوَّرُ بَعْدَ أَيَّامٍ ،وَتُصْبِحُ عَلَقَةً ، ثُمَّ يَسْتَمِرُّ التَّطَوُّرُ فِي خَلْقِ الإِنْسَانِ حَتَّى يَتَكَامَلَ وَيُولَدَ طِفْلاً.

ثم كرّر الأمر بالقراءة بقوله : { اقرأ } أي: افعل ما أُمرتَ به، تأكيداً

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٦ / ٣٧، ٣٨).
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩ / ١٤) .
(٣) التحرير والتنوير (٣٠ / ٤٣٦).
(٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد للشيخ أحمد بن محمد بن المهدي الحسني (٤ / ١٧٧).

للإيجاب وتمهيداً لقوله : { وربُّك الأكرمُ } أي: كثير الصفات وأوسعها، كثير الكرم والإحسان، واسع الجود، أكثرُ كَرَماً وجُوداً مِن كل كريم , الذي من كرمه { عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } فدلّ على كمال كرمه بأنه علَّم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم . ونبّه على فضل علم الكتابة لِما فيه من المنافع العظيمة التي لا يحيط بها إلا هو ، وما دُوّنت العلوم ، ولا قُيّدت الحِكم ، ولا ضُبِطت أخبار الأولين ومقالاتهم ، ولا كُتب الله المنزّلة، إلاّ بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا، ولو لم يكن على دقيق حكمة الله تعالى دليل إلاّ أمر القلم والخطّ لكفى به[1] .

**ثانياً : أثر وقت النزول في فهم المعنى والعمل به :**

هذه الآيات المباركات هي أول نعمة أنعم الله بها على عباده من أنوار كتابه ، فهي جاءت تبشر بفجر جديد يحمل نور الوحي المبدد لظلمات الجاهلية ، جاءت وهي تحمل عنوان الرسالة ، ومقومات نهضة الأمة ، وتسجل تاريخ ميلادها الذي بدأ مع بداية نزولها في تلك الليلة المباركة من ذلك الشهر المبارك ، في تلك البلدة المباركة المحرمة المشرفة في أعلى قممها التي لا يصعد إليها الإنسان القوي إلا بمشقة ، منبثقة في قلب نبينا الطاهر حتى إرتجف لها فؤاده . ففي جعل هذه الآيات مقدمة الوحي ، وفي نزولها ليلاً ، والنبي ﷺ في خلوته ومتعبده في غار حراء لم يكن ذلك عبثاً ، وقد تكلم العلماء طويلاً عن معاني هذه الآيات ، ولماذا كانت هي مقدمة الوحي ، كما تكلموا عن أحوال النبي ﷺ وهو يتلقى هذا النور الإلهي في تلك اللحظة ، كما تكلموا على شرف المكان الذي انبثق فيه هذا النور ، ولنا على تلك الجهود مكملات في ابتداء نزولها ليلاً ، في أعظم شهر ، في أبرك ليلة من ليالي العام ، من حكيم له الحكمة البالغة في قوله وفعله ، وكريم عمَّ جوده البريات وغطى عطاؤه الكائنات . فلماذا كان ليلاً ، وما أثر وقت نزوله في فهم

(١) انظر : مفاتيح الغيب ، للرازي (١ / ٤٦٥) ، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢٠ / ١١٩) ، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٨ /٣٦٨) ، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٩٣٠) ، و البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤ / ١٧٨) والتحرير والتنوير (٣٠ / ٤٣٣ـ ٤٣٩) ، و الوسيط لسيد طنطاوي (١ / ٤٥٤٠) .

القرآن والعمل به ؟

الليل هو وقت القرآن ، فيه نزل جملة إلى السماء الدنيا ، وفيه ابتداء نزوله وتلاوته **على قلب النبي ﷺ قال تعالى:** ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ (الدخان:٣-٤) ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ (القدر : ١ -٥) ، وفي الليل أمر النبي ﷺ بقراءته في صدر سورة العلق ، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾( الإسراء: ٧٩) ، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ (الإنسان: ٢٦ )،وفي الليل كان يلقاه جبريل ليدارسه القرآن في رمضان ، فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ ، وَكَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنْ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ )[1]، فالليل هو منشأ البركات في سير النبيين والصالحين ، فكما كانت أنوار كتابنا نزلت في ليلة مباركة ، كان نزول التوراة على موسى عليه السلام عند ما ذهب لميقات ربه ليلاً : ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾( الأعراف: ١٤٢) ، وسبق الحديث عن فضل الليل في الدعاء والاستغفار والقيام ، فهو الوقت الذي تفتح الأبواب بالبركات وتتنزل فيه على القلوب الرحمات ، ولذا لما أدرك عباد الرحمن فضله تجافت جنوبهم عن المضاجع وباتوا لربهم سجداً وقياما، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ ( الفرقان: ٦٤).

(١) أخرجه البخاري في كتاب : بدأ الوحي ، باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول ﷺ ح رقم ٦.

وفي نزول هذه الآيات ليلاً ما يشير إلى فضل تلاوة القرآن في الليل فإنَّ في الليل تنقطع الشواغل ويجتمع الهم ، و يتواطأ القلب واللسان على التدبر ، وقد جاء في أضواء البيان في تفسير سورة القدر قوله: " لطيفة:" كون إنزال القرآن هنا في الليل دون النهار، مشعر بفضل اختصاص الليل ، وقد أشار القرآن والسنة إلى نظائره ، فمن القرآن قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ الإسراء : ١ ] ، ومنه قوله : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾ ( الإسراء: ٧٩) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴾ ق : ٤٠ ) ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾ ( المزمل : ٦) ، وقوله تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ ( الذاريات: ١٧) . ومن السنة قوله ﷺ قال: ( يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ ... الحديث )[1] . وهذا يدل على أن الليل أخص بالنفحات الإلهية،وبتجليات الرب سبحانه لعباده ، وذلك لخلو القلب وانقطاع الشواغل وسكون الليل ، ورهبته أقوى على استحضار القلب وصفائه "[2] .

وفي تلاوة القرآن ليلاً ما هو أعون على الفهم لما في الليل من سكون الأصوات، وانقطاع الحركات بما يسهم في جمع القلب والفكر على التدبر ؛ كما قال تعالى:﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا ﴾ أي موافقة بين القلب والبصر والسمع واللسان ؛ لانقطاع المشغلات الملهيات ،" لأن الليل تهدأ فيه الاصوات وتنقطع الحركات ولا يحول دون تسمعه وتفهمه شيء "[3] .

كما أن في تلاوته ليلاً أكثر إصلاح للقلب وتزكية للنفس لما يصحبها من الإخلاص والخشوع ؛ لانقطاع رؤية الخلائق ، ولما تحدثه تلك التلاوة المتدبرة من

(١) رواه البخاري, كتاب الدعوات, باب: الدعاء نصف الليل, ح رقم٦٣٢١, ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل, ح رقم٧٥٨.
(٢) أضواء البيان (٩ / ٢٥٣).
(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي (١٠ / ١٩٩).

وقع في القلب ، خاصة والقلب قد خلص لذكر الله وتفرغ تفرغا تاما لعبادة ربه من مشاغل دنياه في النهار؛ ولذا قال تعالى :﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ﴾ أي :" وأقوم قيلاً في التلاوة والتدبر والتأمل ، وبالتالي بالتأثر ، ففيه إرشاد إلى ما يقابل هذا الثقل فيما سيلقى عليه من القول ، فهو بمثابة التوجيه إلى ما يتزود به لتحمل ثقل أعباء الدعوة والرسالة . وقد سمعت من الشيخ[1] رحمة الله تعالى علينا وعليه قوله: لا يثبت القرآن في الصدر ولا يسهل حفظه وييسر فهمه إلا القيام به من جوف الليل ، وقد كان رحمه الله تعالى لا يترك ورده من الليل صيفاً أو شتاء "[2] ، ومن هنا نص الله ﷻ على أثر التلاوة ليلاً فقال " {وَأَقْوَمُ قِيلاً} أي القراءة بالليل أقوم منها بالنهار ؛ أي أشد استقامة واستمرارا على الصواب ؛ لأن الأصوات هادئة ، والدنيا ساكنة ، فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه . قال قتادة ومجاهد : أي أصوب للقراءة وأثبت للقول ؛ لأنه زمان التفهم . وقال أبو علي : "أقوم قيلا" أي أشد استقامة لفراغ البال بالليل . وقيل : أي أعجل إجابة للدعاء. حكاه ابن شجرة . وقال عكرمة : عبادة الليل أتم نشاطا ، وأتم إخلاصا ، وأكثر بركة . وعن زيد بن أسلم : أجدر أن يتفقه في القرآن . وعن الأعمش قال : قرأ أنس بن مالك"إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأصوب قيلا"فقيل له : {وَأَقْوَمُ قِيلاً} فقال : أقوم وأصوب وأهيأ : سواء "[3] .

يقول سيد قطب: " { وأقوم قيلاً } : أي أثبت في الخير ( كما قال مجاهد ) فإن مغالبة هتاف النوم وجاذبية الفراش ، بعد كد نهار ، أشد وطأ وأجهد للبدن؛ ولكنها إعلان لسيطرة الروح ، واستجابة لدعوة الله ، وإيثار للأنس به ، ومن ثم فإنها أقوم قيلاً ، لأن للذكر فيها حلاوته ، وللصلاة فيها خشوعها ، وللمناجاة فيها

(١) يقصد بذلك شيخه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان .
(٢) أضواء البيان ـ (٨ / ٣٥٩).
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩ / ٤١) .

شفافيتها . وإنها لتسكب في القلب أنساً وراحة وشفافية ونوراً ، قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره . . والله الذي خلق هذا القلب يعلم مداخله وأوتاره ، ويعلم ما يتسرب إليه وما يوقع عليه ، وأي الأوقات يكون فيها أكثر تفتحاً واستعداداً وتهيؤاً ، وأي الأسباب أعلق به وأشد تأثيراً فيه "[1] .

ولما فهم السلف هذه المعاني جعلوا نهارهم للمعاش وليلهم للقرآن تلاوة وصلاة واستغفاراً كما قال تعالى:﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ ﴾ ( الذاريات: ١٧ ١٨) ، وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴾ (الفرقان: ٦٤ ) ، وقد جاء في حديث أبي مُوسَى ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ( إِنِّي لَأَعْرِفُ أَصْوَاتَ رُفْقَةِ الْأَشْعَرِيِّينَ بِالْقُرْآنِ حِينَ يَدْخُلُونَ بِاللَّيْلِ،وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِالْقُرْآنِ بِاللَّيْلِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِالنَّهَارِ)[2] ، فكان يسمع للمدينة النبوية دوي خاص بالقرآن ليلا ، لأنهم أدركوا هذه الفضائل ، وأدركوا أن من منعه القرآن عن النوم في الليل حلت له شفاعته كما جاء عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا , أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : ( الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، يَقُولُ الصِّيَامُ : رَبِّ إِنِّي مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ رَبِّ مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ ، فَيُشَفَّعَانِ )[3] .

كما في نزوله في شهر رمضان في تلك الليلة المباركة ما يدل على فضل وشرف هذا الكتاب وذلك لشرف زمان ووقت نزوله ، يقول ابن عاشور : "والمقصود من تشريف الليلة التي كان ابتداء إنزال القرآن فيها تشريف آخر للقرآن بتشريف زمان ظهوره ، تنبيهاً على أنه تعالى اختار لابتداء إنزاله وقتاً شريفاً مباركاً لأن عظم قدر الفعل يقتضي أن يُختار لإيقاعه فَضْل الأوقات والأمكنة ،

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٧ / ٣٨٠) .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب : باب : غزوة خيبر ح رقم ٣٩٩١ ومسلم في فضائل الصحابة باب : فضل الأشعريين ح رقم ٦٥٦٣.
(٣) أخرجه أحمد في المسند ح رقم ٦٦٢ ، والحاكم المستدرك على الصحيحين ح رقم ٢٠٣٦ ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، والبيهقي في شعب الإيمان ح رقم ١٩٩٤ ، وقال الألباني في صحيح وضعيف الجامع صحيح ح رقم ٣٨٨٢.

فاختيار أفضل الأوقات لابتداء إنزاله ينبئ عن علوّ قدره عند الله تعالى "[1] .

**النموذج الرابع والخامس : المعوذتان :**

**أولاً : المعنى العام لسورة الفلق :**

أمر الله رسوله الكريم أن يستجير ويتحصن بالله عز وجل ـ القوي القدير الذي من صفاته أنه فالق الإصباح والنوى وغيرهما ـ من أربعة شرور أولاها وأعمها : {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} أي من شر كل ذي شر من سائر المخلوقات من الثقلين وغيرهم كائناً ما كان، وهذا كما ترى شامل لجميع الشرور الجمادية، والحيوانية، والسماوية، كالصواعق وغيره . ثم أمره والأمة تبع له أن يستعيذ من ثلاثة شرور خاصة ؛ خصها بالذكر مع اندراجها فيما قبلها، لزيادة مسيس الحاجة إلى الاستعاذة منها، لكثرة وقوعها، و قد جاء ت معطوفة على من قلبها من ذلك : من شر { غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} أي الليل إذا أظلم والقمر إذا غاب ؛ لأنه وقت يغلب وقوع الشر فيه ، ومن شر { النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} أي من شر السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط، وينفثن عليها ، وهم صنف من الناس أقيمت صناعتهم على إرادة الشر بالغير. ومن شر {حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ} أي أظهر حسده وعمل بمقتضاه ، بترتيب مقدمات الشر ، فابتغاك بضر أو أرادك بشر أو طلبك بسوء قولاً وفعلاً ؛ لأن الحسد طلب زوال النعمة "[2] .

**ثانياً : المعنى العام لسورة الناس :**

جاءت هذه السورة مكملة لما يستعاذ منه في سورة الفلق ، حيث أن سورة الفلق تعوُّذ من شرور المخلوقات من حيوان وناس ، وسورة الناس تعوّذ من شرور مخلوقات خفيّة وهي الشياطين ، فهنالك الاستعاذة من أربعة شرور ، وهنا أمر الله بالاستعاذة من شر واحد " الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس " إلا

(١) التحرير والتنوير (٣٠ / ٤٥٧) .

(٢)انظر : أضواء البيان (٩ / ٣٤٦) ، والتحرير والتنوير (٣٠ / ٦٢٧) ، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤ / ٢٣٨، ٢٣٩ ) ، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للجزائري (١٠ / ١١٨) .

أنه أخطر من تلك الأربع ، وذلك لتعلقه بالقلب، والقلب إذا فسد فسد كل شيء ، وإذا صلح صلح كل شيء ، ولأن مقصده الأعظم إفساد الدين ، ولأنه منبع تلك الشرور فإن " السحر لا يتم إلا بتعاون كبير من الشياطين وهم معلموه كما جاء ذلك في سورة البقرة[1] ، وكان الحسد الذي هو منشأ العداوات مبدأه من الشيطان عند ما حسد آدم عليه السلام على إكرام الله إياه جاءت هذه السورة للاستعاذة منه ، ولخطورة شره جاء البناء في الاستعاذة منها بصفات ثلاث ﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴾ ، لأن الرب هو الذي يرحم عباده ، وملك الناس هو الذي يحميهم ويحفظهم ويحرسهم "[2] ، فأمرهم جل وعلا هنا أن يتحصنوا بخالقهم ومالكهم وإلههم الذي لا إله لهم سواه من شر الوسواس الذي هو الشيطان الموسوس في صدور الناس بالخواطر الشريرة ؛ وذلك بصوت خفي لا يسمع فيلقي الشبه في القلب،والمخاوف والظنون السيئة ، ويزين القبيح ويقبح الحسن ؛ وذلك متى غفل المرء عن ذكر الله تعالى، وقوله تعالى {الْخَنَّاسِ} هذا وصف للشيطان من الجن فإنه إذا ذكر العبد ربه خنس أي استتر وكأنه غاب ولم يغب فإذا غفل العبد عن ذكر الله عاد للوسوسة. وقوله تعالى {مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} يعني الموسوس للإنسان كما يكون من الجن يكون من الناس ، والإنسان يوسوس بمعنى يعمل عمل الشيطان في تزيين الشر وتحسين القبيح. والقاء الشبه في النفس، وإثارة الهواجس والخواطر بالكلمات الفاسدة والعبارات المضللة حتى إن ضرر الإنسان على الإنسان أكبر من ضرر الشيطان على الإنسان، إذ الشيطان من الجن يطرد بالاستعاذة وشيطان الإنس لا يطرد بها وإنما يصانع ويدارى للتخلص منه "[3].

**ثالثاً : أثر وقت النزول في الفهم والعمل :**

قد اشتملت هاتان السورتان على الاستعاذة من خمسة مخاوف هي شاملة لكل ما يخاف لضرره وأذاه ،" فلم يبق شر من الشرور إلا دخل تحت الشر المستعاذ منه فيهما"[4] ، وقد جاءت أربعة منها في سورة الفلق وواحدة في سورة

(١) الآية : ١٠٢ .
(٢) انظر : البحر المحيط ( ٧٦٥/٨ ) وأضواء البيان (٩ / ٣٥٦).
(٣) التفسير القيم لابن القيم (٢ / ٣٢١) والتحرير والتنوير (٣٠ / ٦٣٣ ) ، وأيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (١٠ / ١٢٢).
(٤) التفسير القيم لابن القيم (٢ / ٢٦٣).

الناس ، ولما كان الليل خاصة عند ما يتكاثف ظلامه مظنة المخاوف، وتوقع الشر والمكروه فيه أكبر ، لخروج الحيات السامة ، والحيوانات المفترسة ، والجماعات المتلصصة للسطو والسرقة،وهو وقت يتحيّنه الشطَّار وأصحاب الدعارة والعَيث[1] والشر والفساد والشياطين يختنسون فيه ؛ لتحقّق غلبَة الغفلة والنوم على الناس فيه، وتعذر السير ، وعُسر النجدة ، وبُعد الاستغاثة ، جاءت هذه الآيات ليلاً وأمرت بتلاوتها في الليل الذي يكثر فيه حدث الشر، ويستر فيه أفعال الشر من ورائه لئلا يُرمى فاعلوها بتبعاتها"[2] ." فالليل هو محل الظلام،وفيه تتسلط شياطين الإنس والجن ما لا تتسلط بالنهار،فإن النهار نور والشياطين إنما سلطانهم في الظلمات والمواضع المظلمة وعلى أهل الظلمة ... ولهذا كان سلطان السحر وعظم تأثيره إنما هو بالليل دون النهار ، فالسحر الليلي عندهم هو السحر القوي التأثير ، ولهذا كانت القلوب المظلمة هي محال الشياطين وبيوتهم ومأواهم والشياطين تجول فيها وتتحكم كما يتحكم ساكن البيت فيه ، وكلما كان القلب أظلم كان للشيطان أطوع وهو فيه أثبت وأمكن "[3] .

وعُطف ( شر النفاثات في العقد ) على شر الليل لأن الليل وقت يتحين فيه السحَرة إجراء شعوذتهم لئلا يطلع عليهم أحد ... وعطف شر الحاسد على شر الساحر المعطوف على شر الليل ، لمناسبة بينه وبين المعطوف عليه مباشرةً وبينه وبين المعطوف عليه بواسطته، فإن مما يدعو الحاسد إلى أذى المحسود أن يتطلب حصول أذاهُ لتوهم أن السحر يزيل النعمة التي حسده عليها ، ولأن ثوران وجدان الجسد يكثر في وقت الليل ، لأن الليل وقت الخلوة وخطور الخواطر النفسية والتفكر في الأحوال الحافة بالحاسد وبالمحسود"[4]،ولما كان السحر والحسد من

(١) العَيْثُ: الإفساد . يقال عاثَ الذئب في الغنم. والتعْييثُ: طلب شيءٍ باليد من غير أن يبصره . الصحاح في اللغة (٢ / ٨).
(٢) انظر : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤ / ٢٣٨) التحرير والتنوير (٣٠ / ـ ٦٣٤ ، ٦٢٧) .
(٣)التفسير القيم لابن القيم (٢ / ٢٧٨) .
(٤) التحرير والتنوير (٣٠ / ٦٢٨، ٦٢٩) .

أفعال العباد ، وكان الشيطان من وراء هاتين الخصلتين جاءت الاستعاذة منه في سورة كاملة .

وأما " السبب الذي لأجله أمر الله بالإستعاذة من شر الليل وشر القمر إذا وقب هو أن الليل إذا أقبل فهو محل سلطان الأرواح الشريرة الخبيثة ، وفيه تنتشر الشياطين وفي الصحيح أن النبي ﷺ أخبر أن الشمس إذا غربت انتشرت الشياطين ، كما جاء عن عطاء أَنَّهُ سَمِعَ جَابِر ﷺ يقول : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ( إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ - أَوْ أَمْسَيْتُمْ - فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ ، وَأَغْلِقُوا الأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا ، وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ ، وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ )[1] .

وشر الشيطان على الإنسان في الليل لا ينقطع حتى عند نومه فيعقد على رأسه عقدا تمنعه من اليقظة للقيام لعبادة الله ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ : ( يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ ، عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ ، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ )[2] . ومن شره على النائم أنه يبول في أذنه حتى ينام إلى الصباح فلا يقوم لعبادة ربه كما جاء عَنْ أَبِي وَائِلٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ قَالَ : ( ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ أَوْ قَالَ فِي أُذُنِهِ )[3]

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب : الأشربة باب: تغطية الإناء ح رقم ٥٦٢٣،ومسلم في كتاب : الأشربة ، باب : الأَمْرِ بِتَغْطِيَةِ الإِنَاءِ وَإِيكَاءِ السِّقَاءِ وَإِغْلاَقِ الأَبْوَابِ وَذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ عَلَيْهَا وَإِطْفَاءِ السِّرَاجِ وَالنَّارِ عِنْدَ النَّوْمِ وَكَفِّ الصِّبْيَانِ وَالْمَوَاشِي بَعْدَ الْمَغْرِبِ ح رقم٥٣٦٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب : الصلاة ، بَاب : عَقْدِ الشَّيْطَانِ عَلَى قَافِيَةِ الرَّأْسِ إِذَا لَمْ يُصَلِّ بِاللَّيْلِ ح رقم ١١٤٢.

(٣)أخرجه البخاري في صحيحه الصلاة ، بَاب : عَقْدِ الشَّيْطَانِ عَلَى قَافِيَةِ الرَّأْسِ إِذَا لَمْ يُصَلِّ بِاللَّيْلِ ح رقم ٣٢٧٠، ومسلم في كتاب : الصلاة باب : باب مَا رُوِىَ فِيمَنْ نَامَ اللَّيْلَ أَجْمَعَ حَتَّى أَصْبَحَ ح رقم ١٨٥٣.

ولما كانت هذه الشرور ظلمات بعضها فوق بعض جاء تعليق الاستعاذة بالصفة المناسبة للمقام " برب الفلق " فالق الصبح بأنواره ، والأرض بنباتها ، والحجارة بعيونها بما يقوي في نفس المتفكر في الآيتين المنظورة والمتلوة قوة رجاءه في ربه ، ويزداد يقينه " أنه قادر على أن ينجيني في الليل من الشر كما أنجى أهل الأرض كلهم بأن خلق لهم الصبح ، فوُصفَ الله بالصفة التي فيها تمهيداً للإجابة " [1]، يقول ابن القيم: " استعاذ برب الفلق الذي هو الصبح والنور من شر الغاسق الذي هو الظلمة فناسب الوصف المستعاذ به للمعنى المطلوب بالإستعاذة ... ومن هاهنا تعلم السر في الإستعاذة برب الفلق في هذا الموضع فإن الفلق الصبح الذي هو مبدأ ظهور النور وهو الذي يطرد جيش الظلام وعسكر المفسدين في الليل فيأوي كل خبيث وكل مفسد وكل لص وكل قاطع طريق إلى سرب أو كن أو غار ، وتأوي الهوام إلى أحجرتها والشياطين التي انتشرت بالليل إلى أمكنتها ومحالها ، فأمر الله تعالى عباده أن يستعيذوا برب النور الذي يقهر الظلمة ويزيلها ويقهر عسكرها وجيوشها ... فالإيمان كله نور ومآله إلى نور ومستقره في القلب المضيء المستنير والمقترن بأهله الأرواح المستنيرة المضيئة المشرقة ، والكفر والشرك كله ظلمة ومآله إلى الظلمات ومستقره في القلوب المظلمة والمقترن بها الأرواح المظلمة ، فتأمل الإستعاذة برب الفلق من شر الظلمة ومن شر ما يحدث فيها ونزول هذا المعنى على الواقع يشهد بأن القرآن بل هاتان السورتان من أعظم أعلام النبوة وبراهين صدق رسالة محمد ﷺ ومضادة لما جاء به الشياطين من كل وجه"[2].

ومن علم معاني هاتين السورتين كانت هذه الآيات مهرعه كلما شب عليه ظلام في حياته اعتصاماً برب الفلق ليفلق عليه تلك الظلمات ويأمنه من تلك المخاوف ، بل هي مهرعه كلما أقبل عليه ليل بظلامه كما هي سنته كما جاء في حديث مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ : خَرَجْنَا فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ لَنَا فَأَدْرَكْنَاهُ فَقَالَ : ( أَصَلَّيْتُمْ ؟ ) فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا ، فَقَالَ : ( قُلْ ) فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ : ( قُلْ ) فَلَمْ أَقُلْ شَيْئًا ، ثُمَّ قَالَ : ( قُلْ ) فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : ( قُلْ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ )[3] .

(١)التحرير والتنوير (٣٠ / ٦٢٦).
(٢)التفسير القيم لابن القيم (٢ / ٢٧٩، ٢٨١) .
(٣)أخرجه الترمذي ح رقم ٣٥٧٥ ، وأبو داود ح رقم ٥٠٨٤، والنسائي ح رقم ٧٨٦٠ ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه ، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف أبي داود.

وقد جاء عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ) قَالَتْ عَائِشَةُ : فَلَمَّا اشْتَكَى كَانَ يَأْمُرُنِي أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ بِهِ "[1] ، ولهذا ما تعوذ بمثلهما متعوذ : يقول ابن القيم في فضل هاتين السورتين " أنه لا يستغني عنهما أحد قط ، وأن لهما تأثيرا خاصا في دفع السحر والعين وسائر الشرور وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس "[2].

## النتائج والتوصيات :

**أولاً : النتائج :**

من خلال هذه الدراسة الماتعة توصل الباحث للنتائج التالية :

(١) أهمية معرفة وقت نزول الآيات والسور ، ومكانهما وأحوالهما لما لهما من أثر في فهم وتعميق المعنى ، وزيادة دافعية الاستجابة والعمل .

(٢) في تلاوة بعض الآيات والسور في الوقت الذي نزلت فيه إحياء لسنة نبوية غفل هنا كثير من الناس ، ومنهم من يتلوها وهو غافل عن استصحاب سنة قراءة النبيﷺ لها في مثل هذا الوقت الذي نزلت فيه بل حث على تلاوتها في الوقت الذي نزلت فيه كالمعوذتين، وكآيات سورة آل عمران ، ومنها ما حث على العمل بمضمونها في وقت نزولها كالاجتهاد في التوبة في وقت نزول آيات الثلاثة الذين خلفوا عن رسول الله ﷺ وكالحث على قراءة القرآن ليلاً لأنه نزل ليلاً ، وتدارسه جبريل مع النبي ﷺ ليلاً .

(٣) في بيان وجه التناسب بين وقت النزول ، ومعاني الآية أو الآيات والسور هو لون جديد من ألوان علم المناسبات ، ووجه جديد من أوجه الإعجاز ، وسر آخر من

(١)أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب : فضائل القرآن ، باب : فَضْلِ الْمُعَوِّذَاتِ ح رقم ٥٠١٧.
(٢)التفسير القيم لابن القيم (٢ / ٢٥٧).

أسرار هذا الكتاب الكريم ، وكل ذلك مصدق لقوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ٨٢) .

**ثانياً : التوصيات :**

ومن خلال النتائج السابقة يوصي الباحث بما يلي :

أولاً : أهمية تخصيص دراسات لأماكن وأحوال وزمان وقت النزول بصورة تكشف عن أسرار هذا الكتاب المجيد لتكتمل جوانب هذا المشروع العظيم الذي قصد الباحث فتح نافذته للباحثين .

ثانياً : بيان وجه الاستفادة من دراسة مكان وزمان وأحوال النزول في التعليم